

# التاريخ في مفهوم الإسلام

أنور اجتري



دار الإقتصاد  
بالتجارة

على طريق الأصالة الإسلامية

٥

# التاريخ في مفهوم الإسلام

تأليف

أنور الجندي

دار الأنصار

مكتبة - طرابلس - لبنان - دار بيروت  
الكتاب في الطباعة - بيروت - لبنان - طرابلس  
٩٢١٥٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقارن الاستاذ ولفرد كانتول سميث في كتابه ( الاسلام في التاريخ الحديث ) بين احساس الهندى والمسيحى والماركسى تجاه التاريخ واحساس المسلم تجاه التاريخ فيقول أن الرجل الهندى لا يأبه للتاريخ ولا يحس بوجوده ، لان التاريخ هو ما سجله البشر من أعمال في عالم المادة وعالم الحس ، والهندى مشغول دائما بعالم الروح ، عالم اللانهائية ، ومن ثم فكل شئ في عالم الفناء المحدود لا قيمة له عنده ولا وزن ، والتاريخ بالنسبة اليه شئ ساقط من الحساب. أما المسيحى فيعيش بشخصية مزدوجة أو في عالين منفصلين لا يربط بينهما رباط ، فالمثل الاعلى عنده غير قابل للتطبيق والواقع البشرى المطبق في واقع الارض منقطع عن المثل الاعلى المنشود ، ويسير هذان الخطان في نفسه متجاورين أو متباعدين ولكن بغير اتصال ، والتاريخ في نظره هو نقطة ضعف البشر ، وهبوطه وانحرافه ، أما التاريخ في نظر الماركسى فهو

الايمان بحتمية التاريخ بمعنى أن كل خطوة تؤدي الى الخطوة التالية بطريقة حتمية ولكن لا يؤمن الا بهذا العالم المحسوس ، بل لا يؤمن في هذا العالم الا بالمذهب الماركسى وحده ، وكل شيء عداه باطل ، والماركسى يتبع عجلة التاريخ ولا يوجهها ولا يقيسها بأية مقاييس خارجة عنها ، أما المسلم فانه يحس بالتاريخ احساسا جادا ، انه يؤمن بتحقيق ملكوت الله في الارض ويؤمن بأن الله قد وضع نظاما عمليا واقعيا يسير البشر في الارض على مقتضاه يحاولون دائما أن يصوغوا واقع الارض في اطاره ، ومن ثم فهو دائما يعيش كل عمل فردى أو جماعى ، وكل شعور فردى أو جماعى ، بمقدار قربه أو بعده من واقع الارض لانه قابل للتحقيق. والتاريخ في نظر المسلم هو سجل المحاولة البشرية لتحقيق ملكوت الله في الارض ، ومن ثم فكل عمل وكل شعور ، فرديا كان أو جماعيا ذو أهمية بالغة لان الحاضر هو نتيجة الماضى والمستقبل متوقف على الحاضر ، فالمفهوم الاسلامى واضح الايجابية ، فبينما غير المسلم يضحى بنفسه لانه لا يريد أن تمر عجلة التاريخ الخاطئة وهو حى وسامح لها بالمرور ، فهو يقف في طريقها حتى تدوسه وتقتله ، ويكون ذلك أغلى قربان يتقدم به الى الله . فان المسلم حين يضحى بنفسه ، ففى حسه أن هناك نظاما الهيا يراد أن يطبق

فى واقع الارض ، وفى حسه وهو يضفى أنه ىدفع  
عجلة هذا النظام خطوة الى الامام .

هذه العبارات للكاتب الغربى تقرب من الحقيقة  
وتكشف عن الفارق العميق بين فهم المسلم للتاريخ وبين  
فهم الطوائف الاخرى ، ويتابع ( اليان وايدغراى )  
هذا المعنى حين يقول : ان وجهة نظر المسلمين للتاريخ  
هى نظرة بناءة ، فهم يرون أن البشرية اذا اعتنقت  
تعاليم الوحى ( القرآن ) فان ارادتها حينئذ يتطابق  
وارادة الله ، ولا يعود يوجد من يعصى أوامره ، ويعم  
الاءاء بين البشر ، ومن صفات المؤمن أنه صابر ويعلم  
أن الامر لارادة الله ، وقد قدموا أفضل فيلسوف للتاريخ ،  
ممثلا بالفيلسوف ابن خلدون وكان أول فيلسوف حلل  
درجات تأثير المحيط والدوافع النفسية التى تعمل عملها  
فى الحياة الانسانية ، وتسبب نشوء الحضارات  
وانقراضها ، ونشاهد بوجه عام تيارين يتنازعان  
السيطرة على اقطار فلاسفة التاريخ المسلمين : المفهوم  
الحركى ، والمفهوم القدرى وكلها تظهر بوضوح فى  
تقلبات القوى الاجتماعية وعلى العكس من ذلك كان  
الفلاسفة الهنود قد قطعوا كل صلتهم بما هو وقتى  
وفورى وقدموا تعاليم انهزامية وانعزالية ، والتاريخ  
بالنسبة للبوذية والهنود ليس الا وهما » .

ويؤكد الاستاذ تريتون في كتابه « الاسلام :  
عقيدته وعبادته » ان التفسير المادى لا يصلح لفهم  
تاريخ الاسلام ، يقول : اذا صح فى العقول ان التفسير  
المادى يمكن أن يكون صالحا فى تعليل بعض الظواهر  
التاريخية الكبرى وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها ،  
فان هذا التفسير المادى يفشل فشلا ذريعا حين يرغب  
فى ان يعلل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم ، وقيام  
حضارتهم واتساع رقعتهم ، وثبات أقدامهم ، فلم يبق  
أمام المؤرخين الا أن ينظروا فى العلة الصحيحة لهذه  
الظاهرة الفريدة فراوا أنها تقع فى هذا الشيء الجديد :  
الا وهو الاسلام .

وهذا ما نريد أن نصل اليه : فى أن أى محاولة  
لتفسير تاريخ الاسلام بغير التفسير الاسلامى للتاريخ  
محاولة باطلة وأن جميع مذاهب التفسير التاريخى :  
المادية والاقتصادية والجغرافية والمناخية .. الخ  
لا تستطيع أن تستوعب مفهوم التاريخ الاسلامى ولكل  
أمة وعقيدة مقاييسها التى تشكل قانون تفسيرها .

واننا لنجد الآن محاولات لتفسير تاريخ الاسلام  
تنبعث من النظرية الفربية الليبرالية ، وهذه قاصرة ،  
ومن النظرية الماركسية وهذه قاصرة ايضا .

ومن النظرية المادية وهذه قاصرة أيضا ، ذلك أن الاسلام الذى يقوم منهجه على تكامل الروح والمادة ، والحياء والموت ، والدنيا والآخرة والنفس والجسد ، والثوابت والمتغيرات والكلى والجزئى ، لا يمكن أن يفسر بمنهج جزئى سواء أكان ماديا أم روحيا خالصا ، ولذلك فإن هذه المحاولات كلها التى تحاول أن تضع الاسلام فى صف الديمقراطية مرة ، أو الاشتراكية مرة ، أو الحرية مرة ، كلها قاصرة فالاسلام له ذاتيته الخاصة وتكوينه الجامع المنفرد الذى قد يلتقى ثمة مع جانب من هذا أو ذاك ولكنه لن يكون الا هو وحده الذى تعجز المناهج المادية ونظريات التفسير الجزئية عن استيعابه وفهمه ولعل هؤلاء الثلاثة : كانتول وجراى وتريتون قد ردوا على هذه المحاولات وهم كتاب غربيون عرفوا حقيقة ذاتية الاسلام وطابعه المميز .

واجه التاريخ ( الاسلامى ) حملة ضخمة من حملات التغريب والغزو الثقافى تستهدف الى اثاره الشبهات والشكوك حوله ، بقصده وضعه موضع الازدراء والانتقاص فى نظر اهله ، وحتى يفقد أهميته من حيث انه قوة انبعاث ويقظة ، وكان هدف التغريب ينصب على ( اخلاق تاريخ اسلامى منفر ) عسى أن

ينتزع من المسلمين ثقتهم في ماضيهم الاسلامى وفي  
انفسهم كمسلمين ، ويسلخهم من تراثهم الفكرى  
وتاريخهم الاسلامى فيصبحون بلا ماض ، فتضعف  
معنوياتهم ، وبدا تسهل السيطرة عليهم فكريا وثقافيا،  
مقدمة للسيطرة عليهم عسكريا واقتصاديا ، وقد جرت  
المحاولات لاحتلال مناهج الغرب في تفسير التاريخ  
الاسلامى بديلا للدراسات الاسلامية ، وفرضت كتب  
الغرب في المدارس والجامعات ، وجعلت مناهج الغرب  
في دراسة التاريخ هى الجواز الى تخريج المؤرخين  
العرب والى صدارتهم .

وقد امتلأت هذه الدراسات بالتطاول على اعلام  
الاسلام وقادته وتوابعه والتشهير بهؤلاء العظماء في  
كل عصر ، عن طريق تزيف طائفة من الاخبار المشكوك  
فيها والقصص والاعتماد على مصادر غير أصيلة أو  
مطعون في صحتها لالتماس هذه الشبهات حول بطولات  
رجال التاريخ الاسلامى وأباح بعض المتصدرين في  
الجامعات « للخيال أن يذهب مذهبه في ابتكار الصور  
التي تقرب للناس حقائق التاريخ » وبذلك جرى  
تصيد الروايات من هنا وهناك لمحاولة دعم آراء محرفة  
معدة أساسا لاثارة الشبهات وما تزال هذه المحاولة  
تتخذ للتآمر على التاريخ الاسلامى قديما وحديثا .



فقد أشار الشيخ أبو بكر بن العربي في كتابه  
( العواصم من القواصم ) الى هذه المراجع المشبوهة  
حين قال : لتحذروا من المفسرين والمؤرخين وأهل  
الادب فانتم أهل جهالة بحرمت الدين وعلى بدعة  
مصريين فلا تبالوا بما رووا ، ولا تنقلوا رواية الا عن  
أئمة الحديث .

ولقد رسم مؤرخو المسلمين منهج البحث التاريخي  
على نحو علمي صحيح ، وحذروا من خطر زوى  
الاعتراض وقال الامام تاج الدين السبكي : لا بد ان  
يكون المؤرخ عالما عدلا عارفا بحال من يترجمه ، ليس  
بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له ،  
ولا من العداوة ما يحمله على الضغن منه وربما كان  
الباعث له على الضعة من أقوام مخالفة العقيدة  
واعتقاد أنهم على ضلال فيقع فيهم او يقصر في الثناء  
عليهم ( طبقات الشافعية ) .

وثمة خطر آخر خطير واجه التاريخ الاسلامي في  
العصر الحديث : ذلك هو مفهوم التاريخ في الفكر  
الغربي فقد ظهرت عدة تفسيرات تحاول ان تفرض  
نفسها على فهم التاريخ منها : التفسير الجغرافي ،  
والتفسير البيولوجي والتفسير الاقتصادي والتفسير

الاجتماعى والتفسير النفسى وقد حاول كل من الباحثين أن يؤكد تفسيره ويعليه على كل العوامل ويرى البعض أن العامل الجغرافى هو العامل الاول اعتمادا على التصاريح الارضية ومصادر الثروة وتوزيع الحياة والاحوال الجوية ، ويرى غيرهم أن أثرا الوراثة هو العامل الاوحد او الالم .

ويرى آخرون أن عامل البيئة هو القوة المؤثرة حياة الناس .

ويرى ماركس : أن العامل الاقتصادى هو العامل الاساسى فى حركة التاريخ .

ويرى توينبى ( التفسير الاجتماعى والحضارى ) أن مواضيع التاريخ الصحيحة هما المجتمعات الانسانية وهدنياتها لا الشعوب والاقطار ويرى فرويد أن العامل الاساسى ليس سوى أزمات نفوس الافراد التى أدت الى الانقلابات الهائلة فى التاريخ ويرى أصحاب نظرية التفسير البيولوجى للتاريخ : أن التاريخ يتناول حياة الانسان من حيث هو انسان ويبحث فى أثر الزمن فيما هو انسانى بحث ، والبيولوجيا هى البحث عن أثر الزمن فى الكائنات الحية من حيث النمو والانحلال والتطور .

وهناك تفسير ( هيجل ) السياسى ، وكل هذه النظريات مجرد احتمالات وفروض ، ونظرات محدودة قاصرة ، ومركزة على جانب واحد ولعها جميعا تمثل مجموع العوامل المؤثرة فى التاريخ على أقدار معينة وأدوار متفاوتة ، ولقد عجزت كل نظرية من هذه النظريات فى أن تحقق الغرض أو أن تثبت سيطرتها بمفردها على تفسير التاريخ .

أما مفهوم الاسلام لتفسير التاريخ فهو لا يأخذ بعامل واحد من هذه العوامل ، ولكنه مفهوم جامع يستمد طابعه الاساسى من الفهم لارادة الله العليا المحيطة بالكون والاشياء ، وبالترايط الوثيق بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، وبين ارادة الانسان ذات الاثر الجوهري فى التعبير ، وبين العوامل المادية والروحية والنفسية جميعا ، فليس لعامل واحد مهما كان قدره الانفراد بالتأثير وترى النظرة الاسلامية ان العوامل المعنوية : روحية وأدبية ونفسية لها آثارها البعيدة التى تزيد كثيرا عن العوامل الاقتصادية والاجتماعية التى يركز عليها الفكر الغربى فى مرحلته المادية التى يعيشها فى هذه القرون الأخيرة .

يقول ويفرد كانثول سميث : ان الاسلام يرى لكل حادث دنيوى تفسيرين ، ويقيسه بمعيارين :

أحدهما وقتي والآخر أبدى ، ومع أن الإسلام والماركسية يعطيان أهمية بالغة لتطور التاريخ وحتميته فإن الإسلام رغم اعترافه بمغزى التاريخ الحاسم إلا أنه يرى أن هذا المغزى لا يذوب في خضم التاريخ نفسه بل يوحد من القيم والأنماط ما يعلو على مجريات التاريخ والحكم على هذه المجريات يمكن بل يجب أن يكون في ضوء هذه القيم — والمقصود بذلك هي ( القيم الروحية ) التي لا وزن لها في الماركسية .

وتختلف وجهات النظر كثيرا بين التفسير الغربي ( بألوانه المختلفة ) للتاريخ وصراعاته المتعددة وبين التفسير الإسلامي .

**أولا :** ومن وجود الاختلاف : أن النظرة الغربية المنبئة في مختلف نظريات تفسير التاريخ ( وخاصة النظرية الماركسية ) يعتبر أن « تاريخ أوربا » وحده هو تاريخ العالم ، أما بقية أجزاء العالم وحضاراته وتاريخه فهي ليست موضع أى تقدير ، كذلك فهي تنظر الى ( الدين ) بعامة نظرة مظلمة ، موقف غربي خاص بالغرب وحده لا تشرك معه أهم الشرق أو أى أمة أخرى يرجع الى ذلك الصراع الذى وقع بين الكنيسة وبين النهضة الأوروبية الحديثة ، وقد تأثر

فلاسفة التاريخ جميعا بهذين العاملين : كما تأثر  
ماركس وانجلز بالنظرة المادية الى التاريخ ، لارتباطهما  
بدارون وفورنباخ ، فقلبا فلسفة هيجل رأسا على  
عقب ، كما كان لا يعتبران بالنظرة الاسلامية ، وكنا  
يصدران عن المعركة الاوربية في رأيهم في الدين بأنه  
أفيون الشعوب ، هذا الرأي محدود يحدد التجربة  
التي عاشوها ، والتفسيرات التي وجدوها في بيئتهم .

ويعل من أسوأ الظلمات التي تحول دون فهم  
الحقيقة البشرية هو الرأي الذي يحمله التفسير المادى  
للتاريخ بأن الافكار والمشاعر الانسانية والبشرية  
ليست سوى مظهر من مظاهر العوامل المادية في  
المجتمع .

**ثانيا : عجز التفسير التاريخى الغربى ( وهو**  
المادى المصدر ) عن استيعاب حقائق التاريخ الاسلامى  
التي تعلو على تصور المادى فسرعة انتشار الاسلام  
على هذا النحو المذهل واستطاعته في خلال فترة  
نقل عن قرن من الزمان أن يبسط جناحيه من حدود  
الصين الى حدود فرنسا ، هذا في تقدير التفسير  
الغربى مشكوك فيه ذلك لان الفكر الغربى لا يؤمن  
بأثر : الايمان العميق القادر عن طريق الارادة الانسانية

الى التغيير الواسع ، كذلك فالتفسير الغربى يعجز عن فهم واستيعاب قاعدة اسلامية أساسية هى « كم من غنة قليلة غلبت فئة كثيرة بانن الله » ذلك أن التقدير المادى يرى أن الكثرة هى الغالبة أبدا ، بينما يضع الاسلام قوة جديدة مضاعفة الى قوة العدد والعددهى قوة الايمان ، وقد أكدت الفتوح الاسلامية هذه الظاهرة بها لا يدع مجالا للشك ، فقد ثبت فى مختلف الفزوات والمعارك التى دخلها المسلمون أن عددهم فيها كان أقل من عدد خصومهم بمراحل ، وأن عدد عدوهم كان مضاعفا أكثر من مرة بل مرات ، فالنصر هنا يرجع الى عنصر الايمان الذى لا يعتد به فى الحساب عن التفسير الغربى للتاريخ .

**ثالثا :** ظاهرة التعصب الواضحة فى التفسير الغربى لتاريخ الاسلامى .

وهذه الظاهرة طبيعية فهى مستمدة من الاختلاف بين الاديان ومن اختلاف وجهات النظر ، ومن الصراع القائم بين الشرق والغرب ، ومن وجهة نظر الاستعمار الذى يرى أن الغرب هو الجنس الابيض ومدن البشرية وأن بلاد الاسلام هى العناصر الملونة التى يرى أنها أقل فى الدرجة والقدرة والكفاية .

ومن خلال نظرة التعصب الغربى تجرى تفسيرات خاطئة ، فى مقدمتها الادعاء بأن « انتشار الاسلام جاء بالسيف » وهى مبطله ، والحق أن الاسلام لم يرفع السيف الا دفاعا عن كيانه حين يتعرض وجوده للخطر ، وذلك فى مقاومة محاولات المتآمرين عليه .

\*\*\*

وهكذا نجد أن الاسلام فى عقيدته وحركته له ذاتية خاصة تعجز عنها النظريات التى تحاول أن تطبق مفاهيمها لتفسيره .

ومن هنا فلا بد أن يكون للتاريخ الاسلامى تفسيره الاصيل .

وان كل ما يشوب النظرة الغربية من تشبهات حول حركة الاسلام يسقط حين يوضع الاسلام موضع التقدير الصحيح : وهو معرفة طبيعة الاسلام وطبيعة الاسلام أنها عقيدة تجمع بين الواقع والمثال والدنيا والآخرة والقلب والعقل ، ولها مرونة واضحة وافق منطلق واطارات واسعة تجعله قادرا على مواجهة الحضارات والثقافات المختلفة على قاعدته الاساسية، مع سماحته الواضحة فى اتاحة الفرصة لاهل البلاد فى

حكم أنفسهم ، حرية العبادة دون فرض عقيدته بالقوة ، وكون الاسلام ليس ديناً فحسب ، بل نظام مجتمع ومنهج حياة ، الدين بمعنى العبادة جزء منه وانه استطاع ان يستوعب حضارات الامم وثقافاتهما وأن يهضم الصالح منها ويسيفه وينميهِ في اطار مفهومه الاصيل : « التوحيد » وانه وفق بين العلم والدين ، وبين الخلق والسياسة ، ومن هنا فقد كان التوحيد أبرز عوامل اندفاع التاريخ الاسلامي بأجنحته : العدل والاخاء والرحمة والكرامة والاعتزاز بالله ، وقد بدا الطابع الانساني وانزعة العالمية واضحة في حركته منذ اليوم الاول .

هذا فضلا عن بقاء القرآن : وهو الوثيقة الكبرى له سليمة من الزيف ، ومع وضوح شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته وتصرفاته وأقواله وأعماله على نحو يكاد يكون كاملاً ، وكذلك وضوح شخصيات أبطال الاسلام ومواقفهم وتفاصيل هذا التاريخ كله ودقائقه على نحو علمي دقيق .

ولقد كان الاسلام هو الدافع الاول والباعث الاساسي الى توحيد العرب واخراجهم من شئبه جزيرتهم ، وانتشارهم في الارض ، ولم تستطع الاحداث



الكبرى فى تاريخ الاسلام أن تغير الطابع الاصيل للنظم  
الاساسية ولكنها جددت البناء الخارجى وأعادت  
تشكيل الفروع وصياغتها فى اطار الاسلام لم يصاحبها  
روح التعصب والخضوع الاعمى وانما صاحبها اقتناع  
مستنير وايمان عميق .

ولما كان الاسلام نفسه يقوم على اساس  
انظرة الجامعة فانه لا يمكن أن يفسر تاريخه الا من  
خلال مفهوم جامع مترابط .

ولقد ظل التاريخ الاسلامى خلال طريقه الطويل  
مرتبطا بالتاريخ الانسانى ، أخذا وعطاء ، وكان له  
آثاره البعيدة فى التغيرات الواسعة التى عرفتھا  
البشرية ، من حيث تحريرها من عبودية الوثن وعبودية  
القيصر والامبراطور والفرعون ومن حيث اهداء الاسلام  
لها المنهج التجريبي الذى نقل البشرية الى عصر اعلم ،  
وتاريخ الاسلام وحدة كاملة متصلة الحلقات ، وهو  
مراحل متسلسلة يسلم بعضها الى بعض ذلك لانه  
يصدر عن قوة واحدة مؤثرة فى الاجتماع والاقتصاد  
والسياسة ، ولقد أشار الباحثون الى ان الاسلام  
لا تخبوه نهضة حتى تبدأ نهضة اخرى ، وان الاسلام  
اثر فى كل الاحداث العالمية منذ وجوده الى اليوم وان

تأثيره سيظل مستمرا لا يتوقف فما زال الاسلام ينمو ويزداد اتساعا حتى شمل القارات الخمس الآن ، ولن يتأتى لقوة مهما عظمت أن تقضى على الاسلام ، وان كانت تستطيع أن تدل منه وأن تؤثر في وجوده بالآزمة أو بالغزو أو بالتفريب ، ولكنه قادر على استعادة قوته ودفع الضرر عنه بالتجدد من الداخل ، ولن يستطيع أى مؤرخ منصف أن يكتب تاريخ البشرية متجاهلا تاريخ الاسلام وأثره البعيد في مجريات الاحداث .

**رابعا :** كانت أخطر محاولات «التفريب» تتركز في المنهج الذى فرضته الارساليات التبشيرية التى استوعبت الشباب المسلم فى العالم العربى فى العصر الحديث والذى يقول : انها تلقن التاريخ وتعلم طلبتها أن يبحثوا فى التاريخ كأنه علم من العلوم الطبيعية المبنية على الاستقراء أى تطبيقه على نوااميس الاجتماع الجديدة .

ولا ريب أن هذا منهج فى النقد التاريخى قد انبثق من الفلسفة المادية التى ترى أن هناك قوانين جبرية تحكم تطور التاريخ الانسانى . وهى فكرة قد انكشف على مدى الزمن فسادها وتبين أن من قالوا

بها قد انحازوا الى ( عينات ) من الوقائع التاريخية وجوها حسب أهوائهم ، ولكن الارساليات تجد في هذا المنهج أهمية خاصة وسلاحا هاما لانها تستطيع به أن تضرب تاريخ الاسلام وتزييف وقائعه وتشكك في بطولاته وهذا هو هدفها الاساسى .

ولا ريب أن النظرة الصحيحة للتاريخ يجب أن تنتفى معها الحتمية والجبرية جميعا : ذلك لان الانسان صانع التاريخ له حريته واختياره وأثره الخاص في كل ما يقم عليه من فكر وعمل ، فلو كان وليد الاسباب والعوامل الطبيعية فحسب ، ليس له يد في تحويلها أو توجيهها ، لو كان كله نتيجة حتمية وليس بشكل من الاشكال فاعلا مسببا لما كان ثمة موجب لاي حكم يصدر منه بل لم يكن ثمة مصدر هذا الحكم كذلك لو كان مسيرا في حياته كل التسيير ، مجبرا على كل عمل من أعماله لضاع معنى الحكم وما يتضمنه من ثواب وعقاب » .

ان حكم التاريخ ، بل اى حكم يتنافى مع الحتمية والجبرية المطلقة ولا يقوم الا اذا اعترف الانسان بحريته واختياره وعقيدته على تحقيق هذا أو ذاك من الامكانات الكامنة في ذاته والمنفسحة أمامه .

فحكم التاريخ مرتبط ارتباطا محكما بهذا المعنى  
الانسانى : معنى الحرية ، فهذا المعنى بمقدار انكشافه  
وتجليه وتحقيقه يتلخص جوهر الجهد الانسانى المتمثل  
فى التاريخ وبهذا المعنى أيضا يستطيع الانسان أن  
يحكم فى التاريخ ، ويفصل بين التراث الايجابى الباقى  
الحافز ، والتراث السلبي الزائل .

ومعنى هذا ان الاتجاه الذى ركزت عليه  
الرساليات التبشيرية فاسد علميا وهو محاولة من  
محاولات هدم التاريخ الاسلامى وبطولاته وعبرته فى  
نفوس الشباب المسلم والحيلولة دون ان يؤدى هذا  
التاريخ دوره فى الاجيال الجديدة ليقدم لها قدرته على  
مواجهة الاحداث المتطورة ويكشف لها الاخطار المحيطة  
ويدفعها الى الطريق الصحيح لمواجهة الغزو الذى  
يتجمع له قوى الاستعمار والصهيونية والماركسية .

ولقد تلقفت الصهيونية العالمية محاولة تزييف  
التاريخ وتفسيره على نحو مسموم كما فعلت الماركسية  
حين أجرت عليه منهج التفسير المادى .

أما الصهيونية فقد عمدت الى الاستيلاء على عدد  
كبير من كراسى الجامعات الغربية ، والعمل على

تبرير الغزو الصهيوني للبلاد الاسلامية والسيطرة على فلسطين ، واثارة الشبهات حول الامة العربية وتاريخها ومكانتها ، وحول دينها وعقيدتها ، باعتبارها القوة المواجهة لها في الصراع ، واثارة الغرب على الشعوب العربية والاسلامية وذلك باعادة عرض صور من احداث الحروب الصليبية وغيرها على نحو مضلل ، وهم الذين يحاولون الآن اثاره مخاوف أوروبا والغرب نحو العرب وازدهارهم ونهضتهم كوسيلة لتعبئة الراى العام الغربى ضدهم وهم الذين يقفون الآن من وراء تجديد الكتابة عن الفرق الاسلامية وعن الثورات التى قام بها الزنج والقرامطة والباطنية ودفعهم بعض اذنانهم من التغريبيين لتصويرها بصورة انها ثورات اسلامية ، وقد ركز مؤتمر بليمور الصهيونى الذى عقد عام ١٩٤٢ حول هذا الاتجاه وكل ما يتردد الآن وينشر عن الحركات الباطنة كالقرامطة والاسماعيلية والجلال هو من صنع هذا الاتجاه فى محاولة تصوير هذه الفرق والشخصيات على انها من دعاة العدل بينما هى من صميم دعاة الانتفاضة على الدولة الاسلامية والعمل على هدمها.

ويتصل هذا التأثير بما نراه فى كتب التاريخ المدرسية من محاولة تصوير رجال التبشير والارساليات

الذين وفدوا على العالم الاسلامى فى اوائل حركة الاستعمار البرتغالى والاسبانى على انهم أبطال الكشوف الجغرافية ، او ما نجده من تمكين فى كتب التاريخ الاسلامى على مسائل الخلاف بين معاوية وعلى وابراز الزوايا الحادة فى المواقف والاحداث حتى يبدو التاريخ الاسلامى كله وكأنه صراع سياسيين محترفين على مغنم الحكم او انه تضارب بين الدماء والمروق ، بينما لا ترى مثل هذه للصور فى الصفحات الخاصة بتاريخ الفراعنة .

ويتصل بهذا ما تفص به دائرة المعارف الاسلامية ( التى كتبها مجموعة من المستشرقين اليهود والمسيحيين المتعصبين ) وكأنها مجموعة افتراءات واتهامات حاقدة على الاسلام وبني الاسلام والقرآن وهى تحاول ان تصور الاسلام وكأنه من صنع محمد وايماءاته وتصوراتيه ، وما كتبه بروكلمان وغيره وكلها تحاول ان تصيب رجال الاسلام وحكوماته بالاتهام والشبهة والهوى ، وفى هذا المعنى يقول الاستاذ يوسف العشى : لقد حاول الكثيرون ان يصموا تاريخنا بكثرة الفتن والحروب والمكاييد والاضطرابات وليس هنا مجال الرد عليهم ، غير ان النظرة الصحيحة الى التاريخ من خلال عوامه العديدة تعطى البيان الواضح عن ان هذه الوصمات لا اصل

لها صحيح ، وان كل ما فى الامر ان هناك « تفاعلات » فى المجتمع الاسلامى العربى كانت تأخذ طريقها ولا بد أن تأخذ طريقها فى ذلك المجتمع ، وان هذه التفاعلات سنة من سنن الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وهى تفاعلات تحدث فى كل أمة ، بل ان الامم الاخرى كانت تتلقاها بعنف أكثر مما تلقاها به المسلمون والعرب ، وتاريخ الامم دائما ممزوج بالحرروب والفتن ، والاضطرابات أكثر من التاريخ العربى .

ولقد كان لهذه المحاولة الخطيرة التى ما تزال مستبيرة أثرها البعيد فى نفس الشباب المسلم الذى ينظر الى تاريخه وزعماءه من خلال وجهة نظر تغريبية ذات هدف واضح فى هدم المقومات الحقيقية للإسلام وتاريخه وعقائده .

وهناك اتجاه العنصرية فى كتابة التاريخ الاسلامى وهو أيضا من عمل الاستشراق وهى المحاولة التى ترمى الى تصور نزاع حاد بين العرب الحاكمين والشعوب المحكومة .

وقد حاول فان فلوطن دولهاورند تصوير القرن

الاول الهجرى وكأنه صراع دموى بين العرب كساده  
وحكامه وبين سكان البلاد المفتوحة .

وقد تأثر بهذا الاتجاه مؤرخون عرب كثيرون  
فحاولوا أن يصوروا انتفاضات بعض الوفد كالبابكية  
والقرامطة على أنها حركات متحررة وتلك نظرة مستمدة  
من الفكر السياسى الحديث ولم تكن من طابع ذلك  
العصر .

كذلك فان هناك محاولات ترمى الى الانتفاض من  
جوهر الاسلام نفسه على أساس القول بأن تاريخ  
الاسلام هو تطبيق لهذه الاصول الاسلامية ، والواقع  
انه لا بد من التفرقة الواسعة بين مبادئ الاسلام  
الربانية الثابتة المثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية  
الصحيحة وبين التجربة التى قام بها الحكم الاسلامى  
والتي تلتقى مع مبادئ الاسلام وقد نفترق في بعض  
المراحل . ولا ريب ان هناك نفر ممن تولوا زمام الحكم  
في الدولة الاسلامية بعد الخلافة الراشدة بعدوا عن  
« منهج الاسلام » فمن غير الحق ان يصور سلوك  
هؤلاء الحكام بأنه من مبادئ الشريعة . وأهم ما في  
ذلك الفهم الخاطيء من محاذير هو محاولة نسبة  
الاستبداد الى الاسلام ومحاولة الاستشراق تبرير



الاستبداد بالاسلام نفسه حيث يقول بعضهم وهو كاذب : ان نظام الحكم فى الاسلام نظام استبدادى ونسى هؤلاء ان للاسلام مبادئه الواضحة التى تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم لمصلحة المحكوم نفسه .

وقد وقع فى هذا الخطأ توماس أرنولد فى كتابه الخلافة ومرجليوت ، وماكدونالد وموير ، وكلهم حاول أن يتخذ من واقع التاريخ الاسلامى ومن اخطاء بعض الولاة المسلمين مبررا لان ينسب استعداده الى الاسلام .

والانصاف يقتضى أن يقال : ان للقرآن تعاليمه الواضحة التى توجب تساوى الناس فى جميع الحقوق ، فاذا ما قامت رئاسة تتفق مع هذه التعاليم التى جاء بها القرآن فهى التى تنطبق عليها الصفة الاسلامية ولا يستطيع أى طاعن أن يطعن فيها حينئذ فى سموها وكفالتها لجميع الناس فاذا لم تتفق هذه الرئاسة مع تعاليم القرآن فانه لا يصح القول بأن هذه الخلافة خلافة اسلامية ، لانه اذا كانت قد صادقت تعاليم كتاب الله الذى هو دستور الدعوة الاسلامية فهل يصح أن ينسب الى الاسلام ما هو متصادم مع دستوره ( دكتور محمد رافت عثمان ) .

والخلافة في سماتها الصحيحة ينظر اليها ايام صفائها ونقائها ولا يصح أن يتخذ الباحث أى عصر يروقه فيحكم عليها بالسمات التى يجدها فى هذا العصر وهذه المنحرفة ليست خلافة على المسلمين بل رئاسة ليست ملتزمة فى سياستها لهم بقانون الاسلام .

ان تميز التفسير الاسلامى للتاريخ ، وهو المنهج الوحيد الصالح لتطبيقه على التاريخ الاسلامى يتميز بسمات هامة : تتفاير مع مفاهيم الفكر الغربى فى الاساس ومن ثم يختلف معه فى التفسيرات : الليبرالية أو الماركسية على السواء .

### أولا : الانسان :

فالانسان فى الاسلام له ارادة حرة قادرة على العمل وهى موضع مسئوليته وهو بذلك ليس خلية فى جسم المجتمع ، وليس محكوم عليه بالحتمية او الجبرية .

وهذا الفهم يختلف مع الفكر الغربى الذى يرى فناء الفرد فى المجموع ، وان وجود الفرد كشئ منفصل قائم بذاته خداع ، ويرى الفكر الغربى أن الجنس

البشرى عبارة عن حشد من مخلوقات اليه لا ارادة لها .  
وان الحياة البشرية ظاهرة محدودة يحيط بها الزمن  
احاطة تامة . ولذا فان وجود الفرد غير ذى أهمية  
قط .

والاسلام يعتبر الانسان فى موضع الخلافة فى  
الارض .

**ثانيا :** ترتبط فى الاسلام الازلى بالابدئى،والثابت  
بالمغير ، والروحى بالمادى ، والدنيوى بالآخرى  
فنظرة الانسان الى الحياة وعمله فيها تمتد الى ما بعد  
الموت والى البعث والجزاء والى حياة أخرى هى  
الخلود بعينه .

وهذا الفهم يختلف مع الفكر الغربى الذى يرى  
أن الحياة لها نهاية ليس بعدها شئ وان النظرة  
قاصرة عند هذا الكون المحدود والزمن المحدود .

**ثالثا :** يؤمن المسلم بأن العالم يتحرك بارادة الله  
المطلقة الفعالة ، التى خلقت نواميس الكون والوجود  
والمجتمعات وقوانينها وان هذه الارادة الربانية قادرة  
على تغيير هذه النواميس وايقافها وان الانسان

ارادة محدودة داخل ارادة الله ومنها وهى موضع مسئوليته ، ومنها يجيىء أثره فى تحريك المجتمع وتغيير التاريخ .

فالحق تبارك وتعالى قادر على التغيير بغير سبب واضح من الاسباب التى يعرفها الانسان او يقيسها من تلك القوانين واحداث التاريخ شاهدة على ذلك فى عديد من التغيرات الكبرى اتى حدثت ولم يستطع الماديون تفسيرها الا بأن أطلقوا عليها اسم الصدفة او الفجاءة .

**ثالثا :** ينطلق التفسير الاسلامى للتاريخ من الله هو الفاعل الحقيقى لكل أحداث التاريخ عن طريق خلقه وجنوده ( وما يعلم جنود ربك الا هو ) والانسان واحد من هؤلاء الجنود وقد قدم القرآن أسباب قيام الامم وتطورها وانهارها ، وكشف عن المصدر الحقيقى للنصر والهزيمة والبقاء والزوال .

والقرآن يرد هذه العوامل أساسا الى الاخلاق والايمان بالله والتقوى ، فاذا حافظت الحضارة على هذه العوامل استطاعت ان تستمر وان خالفت سقطت .

( ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ، فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ) .

ومعنى هذا أن الأمم إذا انحرفت الى الترف والفساد والانحلال وعزفت عن العمل الجاد القائم على الاخلاق والرحمة والتقوى ، سقطت .

هذا هو القانون الثابت الذى لا يتغير والذى يصيب الامم اذا خرجت عن جادة الحق وانحرفت عن الطريق الصحيح ، طريق بناء المجتمع الربانى ، وقد اصاب هذا القانون المسلمون أنفسهم عندما انحرفوا عنه ماذا عادوا اليه عاد اليهم مجدهم ، ولقد كان المسلمون دوما اذا ما خرجوا عن جادة الحق والخلق أصابت سنة الله التى لا تخلف فاذا عادوا الى الاستمساك بالحق والمنابع واعتصموا بالله وكتابه اعيدوا الى القوة والنماء والتمكين فى الارض ، ويدعو القرآن المسلمين الى ان يسيروا فى الارض فينظروا عاقبة الامم التى سبقت ، والتى يمشون فى مساكنهم ، كالفراغة والرومان ، وغيرهم ، ليكون لهم عبرة من ذلك .

« قل سـيـروا فى الارض فانظروا كيف بدأ  
الخلق » .

« قد خلقت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض » .

« أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون  
بها » .

ولعل هذا هو القانون الحتمى الذى لا سبيل  
الى تجاوزه ، اذا فسدت الامم انهارت مجتمعاتها  
وحضارتها ، واذا عادت الى الحق أعيدت الى مكانتها  
ورسالتها وللمسلمين رسالة وامانة عالمية عليهم ان  
يبلغوها للبشرية كلها ولذلك فهو احق ان يلتبسوا  
اسباب الحياة والقوة من مصدرها الاصيل القرآن .

رقم الايداع ٧٩/٣٨٣١

الترقيم الدولى ١ - ٦٧ - ٧٣٨

المطبعة الفنية تليفون ٩١١٨٦٢ - القاهرة







# على طريق الأصول الإسلامية

تعالج قضية هامة من القضايا المعاصرة التي تتطلب بيان وجه الإسلام فيها .

- ١- ألف مليون مسلم على أبواب القرن الخامس عشر الهجري
- ٢- الاستعمار والإسلام
- ٣- الصهيونية والإسلام
- ٤- الحضارة في مفهوم الإسلام
- ٥- التاريخ في مفهوم الإسلام
- ٦- فساد نظام الربا في الاقتصاد العالمي
- ٧- الدولة لمقتضية بعد ثلثين عاما « فلسطين »
- ٨- نقطة الإسلام في تركيا
- ٩- أكتريبات في تاريخ الأدب الحديث
- ١٠- التربية الإسلامية هي الإطار الحقيقي للتعليم

أنور الجندي

دار الأنصار

٨١ شئ البساتين ناصية شارع الجمهورية - عابدين ٩٣١٥٨١